عدن في شعر د . محمد عبده غانم

يقول د . محمد عبده غانم في مقدمته لديوان محمد عبده غانم الذي نشرته دار العودة عام ١٩٨١م وكان يحوي دواوينه الخمسة الأولى (على الشاطئ المسحور، وصخر، حتى يطلع الفجر، في موكب الحياة، وفي المركبة) وعنون تلك المقدمة (رحلتي مع الشعر):

ولكن كتابتي للقصيدة كانت قليلة في الفترة التي اعقبت نشر ديواني الثاني حتى إذا ما اقتربت من اواخر الستينات واشتد اوار الحركة الوطنية في الشطكر الجنوب الوطن، كتبت في عامين تقريبا كل ما يجده القارئ الكريم في ديواني الثالث (حتى يطلع الفجر) الذي نشر في بيروت عام ١٩٧٠م.

ديوان (حتى يطلع الفجر)

الحلقة الثالثة

كم نشرة يبكي بها الاوطـــان جاسوس أثيم
في الصفحة الاولى (جمال) ثم تندس السموم

وجمال هو طبعا الزعيم العربي جمال عبدالناصر.

وفي الديـوان قصيـدة بعنـوان (تعز العـز) اظن ان والـدي كتبهـا في الستينيات عندما سافـر الى الشطر الشمالي في احدى سفراته للبحث عن مصادر اطروحته عن شعر الغناء الصنعاني التي حصل بها على درجة الدكتوراه من جامعة لندن:

تعز العـز في ثبح الجبـــال أحقا مـا أرى أم في خيـال
قدمتك والمغيب يموج جمرا يسيل الأفق منه على التلال

وفي الديـوان قصائد عدة عن الصـراع مع الاستعمار بجانب قصيدة (بين ديك وثعلب) مثل قصيدة (عندما يقول الجندي البريطاني الشعر) ومثل (الوداع الاخير) ومثل (في عيد الثورة) ومثل قصيدة (في عيد الاستقلال) ومن هذه القصيدة :

طوبى لك اليوم هذا النصر يا وطني فقد بذلت له ما شـاء من ثمـن
مـوت وسجن وتشريد وتضحية بالآل والمال والخلان والسكـن
ومحنة لـم تـذر شيخا ولا ولـدا الادعته الى الآلام والحـزن
في أطروان الصبا طاف النجيع بها يستبدل الحلة الحمراء بالكفـن..
الله للمبتلى بالشر في وطـن يأتيه من اجنبي غادر العطـن
كـم قاد فينا (باسترلينه) ذممـا وفي الضمائر ما ينقاد للشلـن
وكم اقام بناء شيـد من زيـف على (شفار جرف هار) من العفن
حينا يطالعنا في (هوبسن) فـاذا ولى أتانا (بأشورت) على رسـن..

وفي القصيدة اشارات يعرفها اهالي عدن في فترة الستينيات اما هوبسن واشورت فقد كانا من رجال الاستخبارات البريطانية. وانا شخصيا اذكر هوبسن عندما كان يدير مكتب عدن في لندن وهو المكتب الذي كان مسؤولا عن طلبة عدن في بريطانيا وذات يوم زار مدينة ابردين ودعاني للعشاء اذ كنت ادرس الهندسة هناك وكان هناك طلبة آخرون من عدن في نفس الجامعة ولكنه دعانا منفردين وحاول اثناء العشاء ان يستخرج من كل واحد منا استغبايا للآخرين وحاول ان يقرأ اتجاهاتنا السياسية بعد ذلك انتقل للعمل في عـدن حيث كان يحضر مقايل القات ويثير الفتن وهو شخص اضطر لتلقي العلاج النفسي فيما بعد. ويذكر د. عصام غانم هوبسن في الصفحة الثامنة من كتيبه (سيرة الدكتور محمد عبده غانم الشاعر والاستاذ والتربوي) لمن اراد مزيدا من التفاصيل.

والديـوان يحوي خمس قصائد تتعلـق بقضية العرب الاولى قضية فلسطين ففي قصيدة (بالصميل) يقول فيها :

أم هل يلام على الأذى من يستجير (بجونبول)
و(العم سام) ورهطه من كل محتـال عميـل
دنيابها (الدولار) يفرض كل وضع مستحيـل

الى ان يخلص بان الحق العربي لن يأتي بغير القوة :

(صهيون) لم تخلق لفهم الحق الا (بالصميل)

وهو ما رأيناه ينجح في الايام الاولى من حرب اكتوبر ثم رأيناه في التصدي الذي قامت به المقاومة اللبنانية في صيف ٢٠٠٦م.

امـا قصيـدة (يا إلهي) فكانت صرخة مـن هول النكسة ثم قصيـدة (سنسير) الذي يرد فيهـا علـى قصيدة نـزار قباني (هوامش على دفـتر النكسة) حتـى التي يقـول فيها نزار مخاطبا الصغار:

يا أيها الاطفال
من المحيط للخليج أنتم سنابل
وأنتم الجيل الذي سيكسر الاغلال
ويقتل الأفيون في رؤوسنا
ويقتل الخيال ..
وأنتم الجيل الذي سيهزم الهزيمة..

وغـانم يرد قائلا : "لا يا نزار افلا نطيـق الانتظار" ولكن الاطفال الذين خاطبهم نزار قد شاخـوا وما زلنا لم نهـزم الهزيمة. ومن وحي الاسراء يكتب غـانم قصيدة (قبة الصخرة تنـادي). ولكن افضـل قصيدة عن القضيـة في الديوان هي (قالت لي الشقـراء) وقد كتبها الشاعر اثناء مشاركته في مؤتمر وفي المساء في بهو الفندق جاءته امرأة شقراء من المشاركات في المؤتمـر وحاولـت ان تناقشه في قضية فلسطين. ولما كانـت المرأة ثملة فقد حاول غانم ان يتجنـب النقاش ولكنها اصرت والقصيـدة حوارية من اربع مقطوعات تتكلم الشقراء فيها في المقطوعة الاولى والثالثة بينما يرد عليها الشاعر في المقطوعتين الثانية والرابعة والقصيدة تتحلـى بالوحـدة الموضوعية واجتزاء ابيات منهـا لايؤدي هدفا مفيـدا ويتمكن الشاعر من سـرد كل الحجـج التـي يستعملها الصهاينـة ومن والاهـم في ادعاء احقيتهـم بفلسطين وفي نظرتهـم الاحتقارية للعـرب والمسلمين والشاعر يرد بأسلوب يتناسب مع الحديث مع امرأة ثملة بشكل موفق.

وفي الديـوان ثـلاث قصائـد ذات مواضيع انسانية عامـة الاولى عـن (هيروشيما) وكيف دمـرت وكيـف عادت مدينة متقدمة مـن جديد رغم الجريمة التاريخية التـي ارتكبتها امريكا في حقهـا والقصيـدة الثانية (دمعة على القمر) ويقارن بـين القمر عندما كان معبودا يسمى (المقة) عند السبئيين وغيرهم وكان منبعا للالهام عند الشعراء. أما قال ابن المعتز عن الهلال :

انـظـر الـيـه كـــزورق مـــن فـضـة
قـد اثـقـلـتـه حـمـولـة مـــن عـنـبر

وقال غانم فيه الكثير من القصائد كما ذكرنا في الحلقتين السابقتين فهو يقول هنا :

فـــاذا اللآلئ في الحصى اعجوبـــة المتأمـــل

وكان قد قال في قصيدة (انشودة البدر) في (على الشاطئ المسحور) :

والحصى در وهـذا المـاء ديبـاج الأرائـك

والقمر شبه به الشعراء حبيباتهم . يقول غانم في رومانسية:

ياليتهـم ضلـوا السبيـل وغـادروك بمعـزل
لتظل وحـي الملهمـين بسحـرك المتزمـل

والقصيـدة الثالثة هي (بين بابين) وموضوعهـا متميز فقد استفاد الشاعر من قصة اول عملية استبدال قلب فقد حصل اليهودي الابيض (بليبرج) على قلب رجل زنجي كان قد توفي في جنـوب افريقيـا حيث كان التمييز العنصر يمنع السـود من الدخول من ابواب مخصصة للبيض يقول الشاعر :

من أي بـاب يا تـرى يجب الدخـــول ويستقيم
ابعد ابيض من لـه في جنبه قلـب بهيـم
مـــاذا تقـول شريعـة التمييـز والـرأي الرجيـم
يـا عنصـر (البيض) اهدنـا يـا أيهـا الشعـب الكـريم!

ونختـم بالحديـث عن اطول قصيدة في الديوان (في رحاب الوحي) وكان الشاعر قد كتبها في رحلـة الحج مـع والد زوجته رجل التنوير المحامي الصحفـي محمد علي لقمان رحمه الله وزوجتيهمـا وقـد توفي لقمان في تلك الرحلة ودفن في الاراضـي المقدسة. والقصيدة الطويلة مليئـة بالمشاعـر الروحانيـة فعبر ١١١ بيتـا يعرج الشاعـر على التاريـخ الاسلامي المشرق في ايامـه الاولى وعلـى منجـزات الحضارة الاسلامية وعلـى مشاعره الدفاقـة ثم يعرج على مصائب الامـة ومأساة فلسطين وتخلـف العرب ومأساة عدن في آخـر القصيدة التي كتبت وهم في المدينة المنورة قبل التوجه الى مكة المكرمة:

رســول الله والادواء شتـــى وأنت كبيبها مهما دوينـا
أتيت اليك مـــن (عدن) وفيهـا شدائد كم بوطأتها منينـا
أبثك مـا يلاقي الحـــر فيهـا من العملاء والمستعمرينا
وأشرح ما أكابد من همـــوم وأشكو عندك الداء الدفينا
لتأسو علـــتي وتزيـل كربـي ومن إلاك يأسوا المرفقينا
وألتمس الشفاعـــة من رسول رؤوف بالعصاة المذنبينا
وأطلب من رحاب الوحي رشدا لابناء العروبة اجمعينـا

وكان لغانم مسرحيته الشعرية (العدل المفقود) ولم ينس ان يشير الى صديقه غانم في القصيدة التي كتبها بمناسبة زفاف ابنته الي عام ١٩٦٨:

واليوم في الخمســـين يحلو في الوجـود موردي
أزف شمس اســـرتي في موكـب محتشـــد
الشهب من ضيوفـــه من لؤل ؤ وعسجـــد
الى (شهـــاب) نيـــر كفـــارس متقـــد
مهـــذب مثقـــف وسيـــد مـــن سيـــد

فهذه كانت مصاهرة ثانية بين الشاعرين الكبيرين والعلمين البارزين.

يقـول غانم في (العبث العقيم) وهو يتحدث عن المصائب التي كانت تعصف بالوطن وعن الصحف المأجورة التي تتخفى وراء صورة جمال في الصفحة الاولى:

أعلي إن الصحف خير أو هي الشر العميـم
فيها البطولة للذي ترنـو لهمته النجـوم
وبها النذالة إن تولى أمـرها وغد زنيـم

فذلـك مشهـد كأنـه استعير من مشاهـد العراق بعد احتـلال بوش وبلير ودمـار الفلوجة وخراب البصرة الجديد.

وفي قصيدة (مأساة طفل) يتحدث عن طفل قتلت امه فلحقت أباه الى العالم الآخر :

أمـاه ضميني اليك فاين ساعـدك الحريـر
أماه ما هـــذا ؟ امـاء في الحصير له خرير
اماه بل هـــذا دم في ثوبـــك القاني غزير
أمـاه هل قتلوك مثل أبـي وحاق بك المصير

هكـذا نجـد ان غانمـا كان يلاحـق الاحداث الداميـة متعاطفا مـع معاناة عـدن واليمن ولكن الناحيـة الفنيـة في هـذه القصائد بشـكل عام كانـت ربما دون قصائـده المتميـزة الرائعة ومن افضلهـا قصيـدة (دموع في العيـد) واظنها افضل ما كتب في رثاء ابي الاحـرار شاعر اليمن الكبـير محمـد محمـود الزبيري الذي اغتيـل وهو يحاول ان يخـرج اليمن مـن مأساة الحرب الاهلية الضروس بين الملكيين والجمهوريين وقد كتبت مرات كثيرة عن ذلك الزعيم العظيم:

يا للرزية في طود هـــوى فهـوت آمالنا الشم وارتجـت لهـا البيد
من للمنابر في الجلى يزلزلهـــا قد غاب عنها أبو الاحرار محمود
أم للعروبة في الدنيا يصوغ لهـا آ القريض لـه في الخـلد ترديـد
أم للمبادئ يرعاهـــا ويكلأهـــا كي لايضيعها البلـه العرابيـد

والقصيدة بشكل عام رائعة ولكن اروع ما فيها في نظري هذه الابيات :

مازلت اذكر ايامـــا حللت بنـــا فيها وما حل الا الفضل والجود
وحولك الفتية الاحرار قد عرفوا فيك الزعيم اذا نادوك او نـودوا
من كل أروع تأبى نفسه كـــرما ان يستبد بهـــا جهـل وتقليد

ويمكـن للمـرء ان يحاول تقليب دواويـن الشعر العربي في كل العصـور فلا يجد مثل هذا الوصـف الرائع للعلاقـة بين الزعيم الحقيقي واتباعه الخلص الاحـرار الذين يعرفون فيه الرئاسة ويقبلون بها ولكنهم يحتفظون بشخصياتهم المتميزة التي تضيف الى قوة الزعيم ولاتصبـح مجـرد شخصيـات مستلبة تؤيـد بالحق والباطـل وما يسميهـم الانكليز (yes men) وهـو مايحدث في معظم الزعامات العربيـة اليوم واقترح ان تدرس هذه الابيات في كتب علم الادارة وعلم السياسة.

وفي قصيـدة (العبث العقيـم) يخاطـب الشاعر غـانم الشاعر علـي محمد لقمـان تلميذه واخـا زوجته صاحب صحيفـة (القلم العدني) وكان غانم يكبر مكانـة على لقمان كسياسي وصحفـي وشاعـر بل ان غانما كان قد خاض الانتخابـات في عدن في نفس الدائرة مع لقمان في الستينيـات حظي باصـوات كثيرة فلما خشـي ان يؤثر ذلك على نتيجـة الاصوات التي كان لقمـان يحصـل عليهـا انسحب من الانتخابـات وبالفعل نجح لقمـان في المرتبة الاخيرة بين الناجحين.

وكان غـانم قـد كتب قصيدة بعنـوان (القلم العـدني) في ديوان (موج وصخـر) بمناسبة صـدرو تلـك الصحيفـة ولقمـان اهـدى العديد مـن قصائـده لغانم مثـل قصيـدة (الشعر والمجتمع) في ديوان (اشجان في الليل) بمناسبة حصول غانم على الجائزة الاولى في المباراة الشعريـة المحلية التـي اقامتها هيئة الاذاعة البريطانية بعدن وهي منشورة في ديوان (هدير القافلة) وقصيدة (الشاطئ المسحور) في ديوان (ليلي غريب) كما اهدى

يا للرجولة في الدنيا وعزتهـا ما للمروءة في الاحياء من أثـر
ما للشهامة في الاقوام قد عدمت ما للفضيلة في الاقوام قد غبـروا
ما للمكارم في الدنيا قد اندثرت ما للمحامد في الاقوام قد بطلـوا
ما للمعالي في الدنيا قد اندحرت ما للمحاسن في الاقوام قد ذهبـوا
ما للمحبة في الدنيا قد انعدمت ما للمودة في الاقوام قد عدمـوا
ما للمروءة في الدنيا قد اندثرت ما للمحامد في الاقوام قد بطلـوا

وعلينا الا ننسـى ان غانما كان من مؤيدي تعليم المرأة ومشـاركتها في بناء المجتمع وكان دائمـا يعطف بشكل خاص على ابنتيه بين ابنائه وكان يسمي ابنته عزة بالدكتورة عزة منذ كانـت طفلـة دون الرابعة وبالفعل اصبحت تلك الطفلة اول خريجة جامعية يمنية وربما اول يمنية تنال الدكتوراة وبالتأكيد اول يمنية تنال درجة بروفسير.

وفي قصيدة (مأساة الباص) يتحدث عن مأساة باص يقل تلاميذ مدرسة انفجر تحته باص فقتل من قتل وجرح من جرح:

من زرع المأساة في ارضنـــا بين الزهور الغضة الناضره
من اخرس الاطباء في المنحنى واغتالها صادحـة سـادره
يا ويحه من غادر قد جنـــى على بلاد حـرة ثائـــره
اطفالنا آمالنا والمنـــــى ان ينكبوا فالامة الخاسـره

وفي قصيدة (ما ذنبها) يتحسر على امرأة مدرسة ماتت حرقا في مدينة الضالع:

ما ذنبهـا ؟ ماذا جنتِ حتى بنـار تحـرقا
هل قارفت إثماً عظيماً واستباحت موبقا ..
مـا ذنبهـا حتى تـوارى في الشباب وتدفنا
ألأنهـا قـد فارقت اهـلا لتخـدم موطنـــا
وتوجـه النشء الكـريم الى المكارم والسـنا
وتقـول هيـا للفتاة فقد دعانـا مجـــدنا
هيـا فبلقيس واروى نادتـا من هـا هنـــا؟

د . شهاب غانم

وعلينا الا ننسـى ان غانما كان من مؤيدي تعليم المرأة ومشـاركتها في بناء المجتمع وكان دائمـا يعطف بشكل خاص على ابنتيه بين ابنائه وكان يسمي ابنته عزة بالدكتورة عزة منذ كانـت طفلـة دون الرابعة وبالفعل اصبحت تلك الطفلة اول خريجة جامعية يمنية وربما اول يمنية تنال الدكتوراة وبالتأكيد اول يمنية تنال درجة بروفسير.

وفي قصيدة (مأساة الباص) يتحدث عن مأساة باص يقل تلاميذ مدرسة انفجر تحته باص فقتل من قتل وجرح من جرح:

من زرع المأساة في ارضنـــا بين الزهور الغضة الناضره
من اخرس الاطباء في المنحنى واغتالها صادحـة سـادره
يا ويحه من غادر قد جنـــى على بلاد حـرة ثائـــره
اطفالنا آمالنا والمنـــــى ان ينكبوا فالامة الخاسـره

دكتوراه في (ثقافة الديمقراطية في الحياة السياسية لقبائل اليمن)

صنعاء /نبأنيوز

صـدر حديثـا عـن مركز دراسـات الوحدة العربيـة كتـاب "ثقافـة الديمقراطيـة في الحيـاة السياسيـة لقبائل اليمن (دراسـة ميدانيـة)" للدكتـور سمـير العبدلي ضمن سلسلة أطروحات الدكتوراه.

وذكـر المؤلـف في مقدمتـه للكتـاب: "... تمثل الثقافة السياسية في العصر الراهن أحد أهم المداخل في علم الاجتماع السياسي وبخاصة لدى باحثي العلوم السياسية لدراسة ثقافـة الشعوب سـواء المتقدمـة أو الناميـة، وذلـك بهـدف التعـرف والتعمـق في درجـة الوعـي والتقـدم الذي تتمتع به أو لوضع الحلول الكفيلة بتطوير وتنمية تلك الثقافة نحو منحى أكثر ديمقراطية وحداثة.

إن دراسة مكونات الثقافة السياسية لدى هذه الشعوب وطبيعة عمل وآليات النظام السياسي لديها من خلال مدجلات ومخرجات العملية السياسية تهدف إلى الإطلاع على مستوى تقدم تلك الثقافـة السياسِية التي وصلت إليها هذه الشعوب والى قياس مستوى الوعي الديمقراطي الذي تتمتع به سلوكا وممارسة.

لـذا حاولت الدراسة التعمق في الثقافة السياسية للمجتمـع اليمني، وعلى وجه الخصوص ما يتعلـق منهـا بالثقافـة القبلية ولا سيمـا في الجانب الديموقراطـي منها، حيـث إن الديموقراطية هـي نهـج حديـث نسبياً يمر بـه المجتمع اليمني منـذ تحقيق الوحـدة في أيار / مايـو ١٩٩٠، مع الأخـذ في الاعتبـار أن المجتمع اليمنـي في معظم تكويناته يتشكل من عدد مـن القبائل القوية التي تطبـع الكثير من ثقافتها وتأثيراتهـا وسلوكياتها وملامحها وعاداتهـا وتقاليدها على توجهات ومخرجـات الثقافـة السياسيـة للمجتمع اليمني وعلى طبيعـة التزاماتها نحـو السلطة والنظام السياسـي وبالتـالي، فـإن الثقافة السياسية في هـذا الجانب تمثل سيكولوجيـا الأمة في ما يتعلق بالشأن السياسي... ".

إعلان